من رسائل شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهّاب

رحمه الله تعالى

موقع طريق التوحيد والسنة

www.tawhedway.com

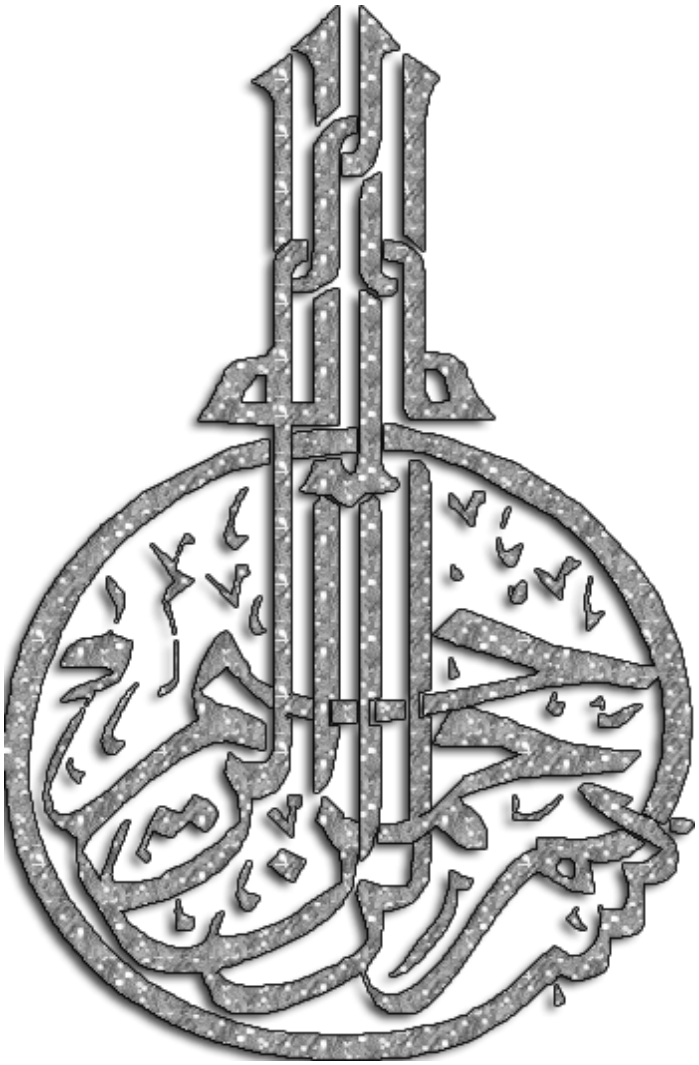

١- معنى لا إله إلا اللّه

اعلم – رحمك الله – أنّ هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون.

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإنّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدّرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصلون ويتصدقون؛ ولكنَّ المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ « من قال لا إله إلاّ الله مخلصا »، وفي رواية « خالصاً من قلبه »، وفي رواية « صادقاً من قلبه » وفي حديث آخر: « من قال لا إله إلاّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله »، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات نفي الإلهية عمّا سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ، وجبرائيل فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

إذا فهمت ذلك؛ فتأمل هذه الألوهية التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد وجبرائيل وغيرهما، أن يكون لهم مثقال حبة من خردل، فاعلم أنّ هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية، والإله معناه الولي الذي فيه السرّ، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ، وتسميه العامة السيد وأشباه هذا.

وذلك أنهم يظنون أنّ الله جعل لخواص الخلق منزلة، يرضى أنّ الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم وهم الذين يسميهم الأولون (الآلهة)، والواسطة هو الإله، فقول الرجل لا إله إلاّ الله، إبطال الوسائط .

فإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين :

الأول : أن تعرف أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وقتلهم ونهب أموالهم، واستحلّ نساءهم، كانوا مقرّين لله سبحانه، بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبّر الأمور إلاّ الله وحده، كما قال الله تعالى { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ } [يونس : ٣١].

وهذه مسألة عظيمة مهمة، وهي أن تعرف أنّ الكفار شاهدون بهذا كله ومقرّون به ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدّقون ويحجون ويعتمرون ويتعبّدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عزّ وجل، ولكن الأمر الثاني هو الذي كفّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يُدعى ولا يُرجى إلاّ الله وحده لا شريك له ولا يُستغاث بغيره ولا يُذبح لغيره ولا يُنذر لغيره، لا لملَكٍ مقرّب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر وأشباه ذلك.

وتمام هذا، أن تعرف أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعُزير وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبّر، وإذا عرفت هذا عرفت معنى لا إله إلاّ الله، وعرفت أن من دعا نبياً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ .

فإن قال قائل من المشركين : نحن نعرف أنّ الله هو الخالق الرازق المدبّر، يمكّن هؤلاء الصالحين أن يكونوا مقرّبين ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلاّ نحن نفهم أنّ الله هو الخالق المدبّر .. فقل : كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنّهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما قال تعالى: {والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } وقال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } [يونس : ١٨].

فإذا تأمّلت هذا تأملاً جيداً، عرفت أنّ الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو تفرّد بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينحون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقرّبونهم إلى الله ويشفعون عنده، وعرفت أنّ من الكفار خصوصاً النصارى منهم، من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزل في صومعة عن الناس، ومع هذا: كافر عدو لله، مخلّد في النار، بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبيّن لك كيف صفة الإسلام، الذي دعا إليه نبيك ﷺ، وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ».

فالله الله يا إخواني تمسّكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسّه ورأسه : شهادة أن لا إله إلاّ الله، واعرفوا معناها، وأحبّوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبّهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما علي منهم أو قال ما كلّفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلّفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .. فالله الله، تمسّكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا، اللهم توفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبيّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } .. فقد سمعتم أنّ الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسّهم الضرّ تركوا السادة والمشائخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده، فإن جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدّعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسّه الضرّ قد يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني ، وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ، والله المستعان .

وأعظم من ذلك وزراً أنّهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويونس وأمثالهم . اهـ

٢- رسالة الكفر بالطاغوت

اعلم رحمك الله، أن أول ما فرض الله على ابن آدم : الكفر الطاغوت والإيمان بالله؛ والدليل قوله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } (النحل ٣٦).

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإلَه المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.

وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها؛ وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} .

والطاغوت : عام في كل ما عُبِدَ من دون الله، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان، الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (يس ٦٠) .

الثاني : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً) (النساء ٦٠) .

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة ٤٤).

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً)، وقوله تعالى (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (الأنعام ٥٩).

الخامس : الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى (وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (الأنبياء ٢٩) .

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٥٦) .

الرشد: دين محمد؛ والغي: دين أبي جهل؛ والعروة الوثقى: شهادة ألا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات؛ تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .اهـ

٣- نواقض الاسلام

الأول : الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }، وقال سبحانه { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار }، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر إجماعاً.

الثالث : من لم يكفر المشركين أوشك فى كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كفر .

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، والدليل قوله تعالى " وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ " (التوبة).

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله تعالى " وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ".

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ "[السجدة ٢٢].

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله تعالى، لايتعلمه ولايعمل به، والدليل قوله تعالى " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ " .

ولا فرق بين هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم مايكون خطراً ومن أكثر مايكون وقوعاً .

فينبغى على المسلم الحذر ويخاف منها على نفسه .. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٤- الأصـول الستـــة

إن من أعجب العُجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب، ستةَ أصول بيَّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل .

الأصل الأول : إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار؛ أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم .

الأصل الثاني : أمر الله بالإجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالإجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الإفتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الإجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون .

الأصل الثالث : أن من تمام الإجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبيَّن الله هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به .

الأصل الرابع : بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في قوله تعالى { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ }(البقرة ٤٠) إلى قوله سبحانه { يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }(البقرة ٤٧).

ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات.

وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لايتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم .

الأصل الخامس : بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا قوله تعالى { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ }، وقوله { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ }، وقوله { أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} .

ثم صار الأمر عند الله أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك إتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم، ولابد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم .. ياربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس : رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة وإتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رضى الله عنهما .
فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما .

فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعاً وقدراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ولكن أكثر الناس لا يعلمون، قال تعالى { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)}(يس : ٧-١١) . اهـ

٥- القواعـــد الأربـــع

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته : أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم ؛ أن تعبد الله مخلصًا له الدين كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦].

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلى مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة .

فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه :

- **القاعدة الأولى :** أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

- **القاعدة الثانية :** أنّهم يقولون ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، والشفاعة شفاعتان؛ شفاعة منفيّة وشفاعة مثبَتة .

فالشفاعة المنفيّة ماكانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

● **القاعدة الثالثة :** أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرّق بينهم، والدليل قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣] ، ودليل الشمس والقمر قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ [فصلت:٣٧].

ودليل الملائكة قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً ﴾[آل عمران:٨٠].

ودليل الأنبياء قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... ﴾ الآية [الإسراء:٥٧].

ودليل الأحجار والأشجار ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم١٩-٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .. الحديث.

● **القاعدة الرابعة :** أنّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدّة؛ والدليل ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥]. اهـ

٦- عشر درجات تتعلق ببطلان الشرك ومعاملة أهله

قال تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً }، فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره، وهي عشر درجات :

الأولي : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة، وقد خالف فيها من خالف .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة، وقد خالف فيها من خالف.

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً أو خائفاً أو طامعاً كفر بذلك لعلمه، وأين ينزل القلب هذه الدرجات ويصدقه بها ؟ وقد خالف فيها من خالف.

السابعة : أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك، وقد خالف فيها من خالف.

الثامنة : أن هذا معنى (لا إله إلا الله) والإله هو المألوه، والتأله عمل من الأعمال، وكونه منفياً عن غير الله ترك من التروك .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية كما تقبل من اليهود، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود، لأنه أغلظ كفراً .

وكل درجة من هذه الدرجات إذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك، والله أعلم .

٧- ثمان حالات لإقامة دين الحنيفية

قوله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ} (يونس)، **وقوله تعالى** {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(الروم ٣٠) .

فيه ثمان حالات :

الحالة الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل، كما جرى لسعد رضي الله عنه مع أمه.

الحالة الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه فلا يفطن بما يريده الله من إجلاله ورهبته، فذكر هذه الحالة بقوله " وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ " .

الحالة الثالثة : إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل فلابد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الآية في العداوة، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فلا يبلغ الجد في العمل بالدين، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلابد من مذهب ينتسب إليه، فالأمر أن يكون مذهبه الحنيفية، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس، فلا بد أن يتبرأ من المشركين، فلا يكثر سوادهم.

الحالة السابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غير نبي من مقاصده ولو كان ديناً يظن أنه نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذا .

الحالة الثامنة : إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك ؟ وما أعز من يتخلص من هذا، بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به، بل ما أعز من لا يظنه جنوناً، والله أعلم .

٨- مسائل الجاهلية

قال الشيخ رحمه الله تعالى : هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها.

فالضد يظهِرُ حسنَه الضدُ وبضدها تتبين الأشياءُ

فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ماعليه أهل الجاهلية تمت الخسارة، كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.

١- أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله، لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ }، وقال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }.

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يُقبل من الأعمال إلا الخالص وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حَرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه هي المسألة التي تَفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الله الجهاد كما قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه}.

٢- أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}، وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله { شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }، وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }، ونهانا عن مشابهتهم بقوله { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ }، ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ }.

٣- أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد .

وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه في الصحيح أنه ﷺ قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثاً؛ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ".

ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

٤- أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ }، وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ }، فأتاهم بقوله { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ }، وقوله { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ }.

٥- أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشئ، ويستدلون على بطلان الشئ بغربته وقلة أهله، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن.

٦- الإحتجاج بالمتقدمين كقوله { قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى }، وقوله { مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ }.

٧- الإستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال، وفي الملك والمال والجاه، فرد الله ذلك بقوله { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ }، وقوله تعالى { وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ }، وقوله تعالى { يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ }.

٨- الاستدلال على بطلان الشئ بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كقولهم { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ }،{ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا }، فرده الله بقوله { أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ }.

٩- الاقتداء بفسقة العلماء والعباد، فأتى بقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ }، وبقوله { لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ }.

١٠- الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم كقولهم { بَادِيَ الرَّأْيِ }.

١١- الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم { إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا }.

١٢- إنكار القياس الصحيح، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

١٣- الغلو في العلماء الصالحين، كقوله { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ }.

١٤- أن ما تقدم مبني على قاعدة النفي والإثبات فيتبعون الهوى والظن ويُعرضون عما جاءت به الرسل .

١٥- إعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقولهم { قُلُوبُنَا غُلْفٌ }، { يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ }، فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم، وأن الطبع بسبب كفرهم.

١٦- إعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر، كما ذكر الله ذلك في قوله { وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ }.

١٧- نسبةُ باطلهم إلى الأنبياء كقوله { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ }، وقوله { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً }.

١٨- تناقضهم في الانتساب، ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

١٩- قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم، كقدح اليهود في عيسى، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ .

٢٠- اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان.

٢١- تعبدهم بالمُكَاءِ والتَصدِيةِ. (المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق)

٢٢- أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

٢٣- أن الحياة الدنيا غرتهم، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه كقولهم { نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ }.

٢٤- ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة، فأنزل الله { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم } .

٢٥- الإستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء، كقوله { لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ }.

٢٦- تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

٢٧- تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله، كقوله { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ }.

٢٨- أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، كقوله { قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا }.

٢٩- أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم، كما نبه الله تعالى عليه بقوله { قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }.

٣٠- وهي من عجائب آيات الله، أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الإفتراق، صار كل حزب بما لديهم فرحين.

٣١- وهي من أعجب الآيات أيضاً، معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفئتهم غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى عليه السلام، واتبعوا كتب السحرة وهي من دين آل فرعون.

٣٢- كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه، كما قال تعالى { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ }.

٣٣- إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت الحرام، قال الله تعالى { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ }.

٣٤- أن كل فرقة تدعي أنها الناجية، فأكذبهم الله { قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }، ثم بين الصواب بقوله { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ }.

٣٥- التعبد بكشف العورات، كقوله { وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

٣٦- التعبد بتحريم الحلال، كما تعبدوا بالشرك.

٣٧- التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله.

٣٨- الإلحاد في الصفات، كقوله تعالى { وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ }.

٣٩- الإلحاد في الأسماء، كقوله { وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ }.

٤٠- التعطيل، كقول آل فرعون.

٤١- نسبة النقائص إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب، مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك.

٤٢- الشرك في الملك، كقول المجوس.

٤٣- جحود القدر.

٤٤- الاحتجاج على الله به.

٤٥- معارضة شرع الله بقدره.

٤٦- مسبة الدهر، كقولهم { وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ }.

٤٧- إضافة نعم الله إلى غيره، كقوله { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا }.

٤٨- الكفر بآيات الله.

٤٩- جحد بعضها.

٥٠- قولهم { مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ }.

٥١- قولهم في القرآن { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }.

٥٢- القدح في حكمة الله تعالى.

٥٣- إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل كقوله تعالى { وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ }، وقوله تعالى { وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ }.

٥٤- الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية .

٥٥- التعصب للمذهب، كقوله تعالى { وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ }.

٥٦- تسمية إتباع الإسلام شركاً، كما ذكره في قوله تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ } الآيتين.

٥٧- تحريف الكلم عن مواضعه .

٥٨- لي الألسنة بالكتاب .

٥٩- تلقيب أهل الهدى بالصباة والحشوية .

٦٠- افتراء الكذب على الله .

٦١- التكذيب بالحق .

٦٢- كونهم إذا غُلبوا بالحُجة فزعوا إلى الشكوى للملوك، كما قالوا { أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ }.

٦٣- رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية .

٦٤- رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى { وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ }، وكما قال تعالى { إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ }.

٦٥- رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك في الآية .

٦٦- رميهم إياهم بتبديل الدين، كما قال تعالى { إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ }.

٦٧- رميهم إياهم بانتقاص الملك كقولهم { وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ } .

٦٨- دعواهم العمل بما عندهم من الحق، كقولهم { نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا }، مع تركهم إياه .

٦٩- الزيادة في العبادة، كفعلهم يوم عاشوراء .

٧٠- نقصهم منها، كتركهم الوقوف بعرفات .

٧١- تركهم الواجب ورعاً .

٧٢- تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

٧٣- تعبدهم بترك زينة الله.

٧٤- دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم.

٧٥- دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

٧٦- المكر الكُبار، كفعل قوم نوح.

٧٧- أن أئمتهم إما عالم فاجر وإما عابد جاهل، كما في قوله { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ } (البقرة ٧٥:٧٨).

٧٨- دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

٧٩- دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ }.

٨٠- تمنيهم الأماني الكاذبة، كقولهم { لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً }، وقولهم { لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى }.

٨١- اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

٨٢- اتخاذ آثار أنبياءهم مساجد .

٨٣- اتخاذ السُرج على القبور .

٨٤- اتخاذها أعياداً .

٨٥- الذبح عند القبور .

٨٦- التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده بذلك، كما قيل لحكيم بن حزام : بعثَ مَكرمَةَ قريش ؟! فقال : ذهبت المكارم إلا التقوى .

٨٧- الفخر بالأحساب.

٨٨- الطعن في الأنساب.

٨٩- الاستسقاء بالأنواء . (طلب السقيا من النجم، أو نسبة المطر إليه كقولهم: مطرنا بنوء كذا)

٩٠- النياحة.

٩١- أن أجل فضائلهم البغي، فذكر الله فيه ما ذكر.

٩٢- أن أجل فضائلهم الفخر، ولو بحق، فنهي عنه.

٩٣- أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لابد منه عندهم، فذكر فيه ما ذكر.

٩٤- أن من دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره، فأنزل الله { وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }.

٩٥- تعيير الرجل بما في غيره فقال ﷺ: " أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية " (متفق عليه).

٩٦- الافتخار بولاية البيت، فذمهم الله بقوله { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ }.

٩٧- الافتخار بكونهم ذرية الانبياء، فأتى الله بقوله { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ }.

٩٨- الافتخار بالصنائع، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث.

٩٩- عظمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }.

١٠٠- التحكم على الله، كما في الآية السابقة.

١٠١- إزدراء الفقراء، فأتاهم بقوله { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ }.

١٠٢- رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله { عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ } .

١٠٣- الكفر بالملائكة.

١٠٤- الكفر بالرسل.

١٠٥- الكفر بالكتب.

١٠٦- الإعراض عما جاء عن الله.

١٠٧- الكفر باليوم الآخر.

١٠٨- التكذيب بلقاء الله.

١٠٩- التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، كما في قوله { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ }، ومنها التكذيب بقوله { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }، وقوله { لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ }، وقوله { إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }.

١١٠- قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

١١١- إيمان بالجبت والطاغوت.

١١٢- تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

١١٣- لبس الحق بالباطل.

١١٤- كتمان الحق مع العلم به.

١١٥- قاعدة الضلال، وهي القول على الله بلا علم.

١١٦- التناقض الواضح لما كذبوا بالحق، كما قال تعالى { بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ }.

١١٧- الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

١١٨- التفريق بين الرسل.

١١٩- مخالفتهم فيما ليس لهم به علم.

١٢٠- دعواعم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم.

١٢١- صدهم عن سبيل الله من آمن به.

١٢٢- مودتهم الكفر والكافرين.

١٢٣- العيافة .(زجر الطير فإن طار يميناً تفاءلت، وإن طار شمالاً تشاءمت)

١٢٤- الطرق .(نوع من التكهن بالحصى أو بالقطن والصوف وادعاء على الغيب)

١٢٥- الطيرة .(التشاؤم)

١٢٦- الكهانة .(إدعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب)

١٢٧- التحاكم إلى الطاغوت.

١٢٨- كراهة التزويج بين العبدين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٩- كشف الشبهات

اعلم – رحمك الله – أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً.

وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده؛ مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين .

فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شئ لغير الله لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون مقرون ويشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } (يونس:٣١).

وقوله تعالى { قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} (المؤمنون:٨٤-٨٩) وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الإعتقاد) كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ، قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً } وقال سبحانه { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ } (الرعد:١٤).

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد.

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها .

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } (سورة ص ٥).

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشئ من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا أفادك فائدتين :

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال تعالى { قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (يونس:٥٨).

وأفادك أيضاً الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يفعل الكفار المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أتوه قائلين { اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ }، فحينئذٍ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

وأعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً } (الأنعام:١١٢) .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى { فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } (غافر:٨٣) .

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلمٍ وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقابل به هؤلاء الشياطين

الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل { لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } (الأعراف) .

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً }، والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى { وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله { تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً }، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول :

جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ }، وقد صح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ".

مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }، أو استدل بالشفاعة أنها حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شئ من باطله، وأنت لاتفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم { هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ }، هذا أمر محكم بين، لا يقدر أحد أن يغيير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي لايخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }.

وأما الجواب المفصّل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه .

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرّون بما ذكرت، ومُقرّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة .

ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ }، ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال تعالى { مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (المائدة:٧٥،٧٦) .

واذكر له قوله تعالى { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ } (سبأ:٤٠،٤١)، وقال تعالى { وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } (المائدة:١١٦) الآية، فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ .

فإن قال: الكفار يريدون منهم: وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شئ ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواءٍ فاقرأ عليه قوله تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } (الزمر:٣)، وقوله تعالى { وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ } (يونس:١٨) .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها .

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الإلتجاء إلى الصالحين، ودعاءهم ليس بعبادة .

فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بين له هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى { ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (الأعراف:٥٥).

فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول لك: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له : إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ }، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة.

فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول نعم.

وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم، والتجئوا إليهم للجه والشفاعة، وهذا ظاهر جدا .

فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو الشافع والمشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى { قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً }، ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عزّ وجل { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }، وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ }.

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي ولا غيره في أحدٍ حتى ياذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد بين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه، وأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا .

فإن قال: النبي أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً } .

فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك، فأطعه في قوله { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً }، وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم ؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت لا، بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره، فما الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره، فإن كان لا يدري، فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فقل: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله تعالى { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } (يونس:٣١) .

وإن قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون، إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته .

فقل صدقت، وهذا فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، وهو المطلوب ويقال له أيضاً قولك: "الشرك عبادة الأصنام"، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا ؟ فهذا يرده ماذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؛ فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي ؟ فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وحده فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب.

وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } (ص:٥).

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا : الملائكة بنات الله؛ فإنا لم نقل: عبد القادر ابن الله ولا غيره.

فالجواب: إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل؛ قال الله تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ }، والأحد الذي لا نظير له، والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا؛ فقد كفر، ولو لم يجحد السورة. وقال تعالى { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ }، ففرق بين النوعين، وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً. وقال تعالى { وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ }.

ففرق بين كفرين والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء اللات، مع كونه رجلاً صالحاً؛ لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك، وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة؛ يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً؛ فهو مرتد ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح .

وإن قال { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (يونس:٦٢).

فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدُون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله، وشركهم معه، وإلا؛ فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال .. إلخ، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين .

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا "الاعتقاد"، هو الشرك الذي أنزل الله في القرآن وقاتل رسول اللهﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى { وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً } (الإسراء:٦٧).

وقوله { قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } (الأنعام:٤١)، وقوله سبحانه { وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } .

وقوله تعالى { وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }، فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله يدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، ويدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحلون لهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها .

وهي إنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شئ وكذبه في شئ أنه كافر لم يدخل في الإسلام .

وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم { وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران:٩٧) .

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله، كما قال جل جلاله { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } (النساء:١٥٠،١٥١)، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعضٍ فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر؛ زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا .

ويقال أيضاً : إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شئ وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شئ إلا البعث، وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان لا يجحد هذا، وصدق بذلك كله ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي محمد ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل .

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون، فإن قال: إنهم يقولون: أن مسيلمة نبي، قلنا :هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ، كفر وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الروم: ٥٩) .

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضى الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر ؟

ويقال أيضاً: بنو عبيدٍ القداحِ الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوعٍ منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم { يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ }، أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم { قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }(التوبة:٦٥،٦٦)، فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى { اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } (الأعراف:١٣٨)، وقول ناسٍ من الصحابة : اجعل لنا ذات أنواط فحلف أن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً .

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا .

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل وكايد الشيطان .

وتفيد أيضاً أن المسلم إذا تكلم بكلام كُفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ، وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وقال له : " أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ " وكذلك قوله ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء الجهلة : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار .

وهؤلاء الجهلة يقولون: إن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع ؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، ولن يفهموا .

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ } أي تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى {فَتَبَيَّنُوا} ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله .

معنى ما ذكرناه إن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟، وقال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله "، وهو الذي قال في الخوارج:" أينما لقيتومهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ" مع كونهم أكثر الناس عبادةً وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم " لا إله إلا الله " ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة .

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }، وكان الرجل كاذباً عليهم، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

والجواب أن تقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى { فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى .

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ ؟

ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا، فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه { شَدِيدُ الْقُوَى }، فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويقلبها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع براهيم عليه السلام في مكانٍ بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مرتد معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: أن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه حق، ولكننا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار،

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشئ من الأعذار كما قال تعالى { اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً }، وغير ذلك من الآيات كقوله { يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ }.

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } .

وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه فإذا هو لا يعرفه. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله :

أولاهما، قوله تعالى { لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية؛ قوله تعالى { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على موجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره .

فالآية تدل على هذا من وجهين :

الأول قوله تعالى{ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ }، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها، والثاني قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ }، فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين.

والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١٠- ستة مواضع من السيرة

تأمل – رحمك الله – ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهماً حسناً لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه، فإن أكثر من يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي.

الموضع الأول : [قصة نزول الوحي]

وفيها أن أول آية أرسله الله بها { يأيها المدثر (١) قم فأنذر } إلى قوله: { ولربك فاصبر } .

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياءاً كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك، وأجلها عندهم الشرك، فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله}، قال تعالى {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون}.

فأول ما أمره الله به الإنذار عنه، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما، وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون (ما نريد منهم إلا شفاعتهم) ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها .

فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك .. خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس، ولم تفرض إلا في ليلة الإسراء – سنة عشر، بعد حصار الشعب بسنتين وموت أبي طالب وبعد هجرة الحبشة بسنتين – فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة، كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثاني

أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده – وهو التوحيد – لم يكرهوا ذلك واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علماءهم، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة .

وقالوا : (سفه أحلامنا وعاب ديننا وشتم آلهتنا)، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة ولا الصالحين، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذا، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام – ولو وحدَّ الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. الآية} .

فإذا فهمت هذا فهماً جيداً، عرفت أن الكثير من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ } فإذا كانت هذه الآية في من وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك ؟!

الموضع الثالث [قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم]

فلما بلغ قوله تعالى { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى } ألقى الشيطان في تلاوته: (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى)، فظنوا أن رسول الله ﷺ قالها ففرحوا بذلك، وقالوا كلاماً – معناه – : (هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو الضار النافع وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده) .

فلما بلغ السجدة، سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافوه، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ، عادوا إلى شر مما كانوا عليه، ولما قالوا له: (إنك قلت ذلك) خاف من الله خوفاً عظيماً حتى أنزل الله عليه { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } .

فمن فهم هذه القصة ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين؛ فأبعده الله، خصوصاً إن عرف أن قولهم: (تلك الغرانيق) الملائكة .

الموضع الرابع [قصة أبي طالب]

فمن فهمها فهماً حسناً، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات، ثم صبره على المشقّة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول، لم يصر مسلماً، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم .

ثم مع قرابته ونصرته، استغفر له رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }.

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدين وبحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيده ولا ماله، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدين، تبين الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان .

الموضع الخامس [قصة الهجرة]

وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر – من غير شك في الدين وتزيين دين المشركين، ولكن محبته للأهل والمال والوطن – فلما خرجوا إلى بدر، خرجوا مع المشركين كارهين، فقتل بعضهم بالرمي – والرامي لا يعرفه – فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شق عليهم، وقالوا : (قتلنا إخواننا) فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً } (النساء ٩٧:٩٩).

فمن تأمل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: (قتلنا إخواننا) أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين، أو كلام في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: (قتلنا إخواننا)، فإن الله تعالى قد بين لهم – وهم في مكة قبل الهجرة – أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله: { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ }.

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم، فإن الملائكة تقول: { فيم كنتم } ولم يقولوا : (كذبتم) مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: (جاهدت في سبيلك حتى قتلت) فيقول الله: (كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء) وكذلك يقولون للعلم والمتصدق: (كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد)، وأما هؤلاء فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم: { أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا } .

ويزيد من ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل، الآية التي بعدها وهي قوله تعالى { إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً } فهذا أوضح جداً أن هؤلاء

خرجوا من الوعيد فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } .

ومن فهم كلام الحسن البصري، قال: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتّمنّي، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وذلك أن الله تعالى يقول { مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }) .

الموضع السادس [قصة الردة بعد موت النبي ﷺ]

فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون " العلماء " وهي قولهم : { هذا هو الشرك، لكن يقولون : لا إله إلا الله، ومن قالها لا يكفر بشيء ! } وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام، وحرم الإسلام مالهم ودمهم، مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرّ به واستهزائهم وتفضيلهم دين آباءهم المخالف لدين النبي ﷺ، ومع هذا كله يصرخ هؤلاء الشياطين المردة الجهلة: { أن البدو أسلموا، ولو جرى ذلك كله، لأنهم يقولون: لا إله إلا الله }، ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها.

وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة – أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا – والذي يبين ذلك من قصة الرّدّة، أن المرتدين افترقوا في ردّتهم فمنهم من كذّب النبي ﷺ ورجعوا إلى عبادة الاوثان، وقالوا: {لو كان نبياً ما مات} ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقرّ بنبوّة مسيلمة، ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك، فصدقهم كثير من الناس، ومع ذلك أجمع العلماء أنهم مرتدّون – ولو جهلوا ذلك – ومن شكّ في ردّتهم فهو كافر .

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله ﷺ هم ومن أقرّ بنبوّة مسيلمة في حال واحدة، ولو ثبت على الإسلام كله .

ومنهم من أقرّ بالشهادتين وصدق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوّة، ومنهم من صدق عيهلة بن كعب الأسود العنسي – صاحب صنعاء – وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء .

ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة، ومنهم نوع أخر، آخرهم الفجاءة السّلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمدّه، فأعطاه سلاحاً ورواحل فاستعرض السّلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله، فلما أحسّ بالجيش، قال لأميرهم: (أنت أمير أبي بكر وأنا أميره ولم أكفر)، قال الأمير: (إن كنت صادقاً فألق السّلاح) فألقاه، فبعث به إلى أبي بكر رضى الله عنه، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي .

فإذا كان هذا هو حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام إلا بكلمة واحدة، إلا أن يقول (لا إله إلا الله) بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ومن كتاب الله تعالى ؟! ويقولون هذا دين الحضر ودين آبائنا، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال { أن هؤلاء مسلمون! ولو صرحوا بذلك كله، إذا قالوا : لا إله إلا الله } سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قاله واحد من البوادي، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام، قال : (أشهد أننا كفار – يعني هو وجميع البوادي – وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١١- تفسير سورة الفاتحة

اعلم أرشدك الله لطاعته وأحاطك بحياطته وتولاك في الدنيا والآخرة: أن مقصود الصلاة وروحها ولبها، هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لاروح فيه.

ويدل على هذا قوله تعالى { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ * هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ } [الماعون٤-٥] ففسر السهو بالسهو عن وقتها، والسهو عن ما يجب فيها، والسهو عن حضور القلب.

ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: " تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان،قام فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً "، فوصفه بإضاعة الوقت بقوله "يرقب الشمس" وبإضاعة الأركان بذكره النقر، وبإضاعة حضور القلب بقوله " لا يذكر الله فيها إلا قليلاً " .

إذا فهمت ذلك، فافهم نوعاً واحداً من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب.

ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة، حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل " انتهى الحديث.

فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله وهو أولها إلى قوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }، ونصف للعبد دعاء يدعو به لنفسه؛ وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب، تبين له ما أضاع أكثر الناس.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وها أنا ذا أذكر لك بعض معاني هذه السورة العظيمة، لعلك تصلي بحضور قلب ويعلم قلبك ما نطق به لسانك؛ لأن ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب ليس بعمل صالح، كما قال تعالى { يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } [الفتح ١١] .

وأبدأ بمعنى الاستعاذة، ثم البسملة، على طريق الاختصار والإيجاز.

فمعنى: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ": ألوذ بالله وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من شر هذا العدو أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، لأنه أحرص ما يكون على العبد، إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله، لقوله تعالى { إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ } [الأعراف ٢٧]؛ فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه واعتصمت به كان هذا سبباً في حضور القلب؛ فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة: فمعناها: أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك {بِسْمِ اللَّهِ}، لابحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله، متبركاً باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمي في أوله، من أمر الدين أو أمر الدنيا.

فإذا أحضرت في نفسك: أن دخولك في القراءة بالله، مستعيناً به متبرئاً من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير.

{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }: اسمان مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر، مثل: العلام والعليم؛ قال ابن عباس: " هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر "، أي: أكثر من الآخر رحمة .

وأما الفاتحة فهي سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد؛ فأولها: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله: الثناء باللسان، الثناء بالفعل الذي يسمى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر، وقوله: على الجميل الاختياري، أي: الذي يفعله الإنسان بإرادته، وأما الجميل الذي لا صنع له فيه، مثل الجمال ونحوه، فالثناء به يسمى مدحاً لا حمداً .

والفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء أكان إحساناً إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان؛ فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً}[الإسراء ١١١]، وقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}[الأنعام ١]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الشكر: فإنه لا يكون إلا على الإنعام؛ فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، قال تعالى { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً } [سبأ ١٣]، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله: {الْحَمْدُ} للاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله لا لغيره، فأما الذي لا صنع للخلق فيه، مثل خلق الإنسان وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح.

وأما ما يحمد عليه المخلوق، مثل ما يثنى به على الصالحين والأنبياء والمرسلين، وعلى من فعل معروفاً، خصوصاً إن أسداه إليك، فهذا كله لله أيضاً، بمعنى أنه خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه وقواه عليه، وغير ذلك من إفضال الله الذي لو يختل بعضها، لم يحمد ذلك المحمود، فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله: {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فالله عَلَم على ربنا تبارك وتعالى، ومعناه: الإله، أي: المعبود، لقوله: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} [الأنعام ٣] أي: المعبود في السماوات، والمعبود في الأرض {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} [مريم ٩٣] الآيتين .

وأما الرب، فمعناه: المالك المتصرف، وأما {الْعَالَمِينَ} فهو اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى؛ فكل ما سواه من ملك ونبي، وإنسي وجني وغير ذلك، مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج، كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وفي قراءة أخرى {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فذكر في أول هذه السورة، التي هي أول المصحف، الألوهية والربوبية والملك؛ كما ذكره في آخر سورة في المصحف { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ } [الناس ١-٣] : فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد، في آخر ما يطرق سمعك من القرآن.

فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع، ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير، لم يجمع بينهما في أول القرآن، ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات؛ فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى كما يقال: محمد رسول الله وخاتم النبيين وسيد ولد آدم، فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر.

إذا عرفت: أن معنى " الله " هو الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له، فقد عرفت أنه الله، فإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً، أو ذبحت له أو نذرت له، فقد زعمت أنه هو الله.

فمن عرف أنه قد جعل شمسان، أو تاجاً برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا ما ذكر الله عنهم: { وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف ١٤٩] .

وأما " الرب " فمعناه: المالك المتصرف؛ فالله تعالى مالك كل شيء، وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كما ذكر الله عنهم في القرآن في غير موضع كقوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }[يونس ٣١] .

فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقاً في ذلك، خصوصاً إن اقترن بدعائه نسبة نفسه إلى عبوديته، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك؛ أو قول: عبد علي، أو عبد

النبي أو الزبير، فقد أقر له بالربوبية. وفي دعائه عليا أو الزبير، بدعائه الله تبارك وتعالى وإقراره له بالعبودية، ليأتي له بخير أو ليصرف عنه شراً مع تسمية نفسه عبداً له، قد أقر له بالربوبية، ولم يقر لله بأنه رب العالمين كلهم، بل جحد بعض ربوبيته.

فرحم الله عبداً نصح نفسه، وتفطن لهذه المهمات، وسأل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا السورة بهذا أم لا ؟

وأما " الملك " فيأتي الكلام عليه ؛ وذلك أن قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وفي القراءة الأخرى {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فمعناه عند جميع المفسرين كلهم، فسره الله في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الإنفطار ١٧-١٩]، فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره، عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة، التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها.

فيا لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، فأين هذا المعنى والإيمان بما صرح به القرآن، مع قوله ﷺ " يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً "، من قول صاحب البردة ؟

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل من نصح نفسه هذه الأبيات ومعناها، ومن فتن بها من العباد وممن يدعي أنه من العلماء، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن؛ هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله تعالى {يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} وقوله ﷺ " يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً " ؟ ..

لا والله! لا والله! لا والله! إلا كما يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمداً صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق.

لا والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان، فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فتن بها، عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عند التكفير والقتال، بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله تعالى { فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً }، وعند قوله سبحانه { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ }، وقوله تعالى { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ }[الرعد ١٤] .

فهذا بعض المعاني في قوله {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بإجماع المفسرين كلهم، وقد فسرها الله سبحانه في سورة {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} كما قدمت لك.

واعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء .

فتأمل ما ذكرت لك: ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك فتحشر معهما؛ ولا تصد عن الحوض يوم الدين، كما يصد عنه من صد عن طريقهما .

ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة، ولا تزل عنه كما زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا من زل، فعليك بإدامة دعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع .

وأما قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فالعبادة: كمال المحبة، وكمال الخضوع والخوف والذل؛ وقدم المفعول وهو إياك، وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة.

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين: فالأول: التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة، فقوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } أي: إياك نوحد؛ ومعناه: أنك تعاهد ربك أن لا تشرك به في عبادته أحداً لا ملكاً ولا نبياً ولا غيرهما، كما قال للصحابة { وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران ٨٠] .

فتأمل هذه الآية، واعرف ما ذكرت لك في الربوبية، أنها التي نسبت إلى " تاج " و " محمد ابن شمسان "؛ فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل كفروا بعد إسلامهم، فكيف بمن فعلها في " تاج " وأمثاله ؟؟!

وقوله { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } هذا فيه أمران، أحدهما: سؤال الإعانة، وهو التوكل، والتبري من الحول والقوة؛ وأيضاً طلب الإعانة من الله كما مر أنها من نصف العبد.

وأما قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا الطلب العظيم الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما منَّ الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً } [الفتح ٢]، والهداية هاهنا: التوفيق والإرشاد .

وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم والعمل الصالح، على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله .

والصراط: الطريق الواضح، والمستقيم: الذي لا عوج فيه؛ والمراد بذلك: الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وهو { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم.

وعليك من الفرائض أن تصدق الله أنه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج؛ وهذه أول الواجبات من هذه الآية، وهو اعتقاد ذلك بالقلب.

وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً؛ فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل؛ فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى { فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ }[المائدة ٧٠] .

وأما قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ }، فالمغضوب عليهم هم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى.

وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات.

فيا سبحان الله !! كيف يعلمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله ؟!! هذا من ظن السوء بالله؛ والله أعلم. هذا آخر الفاتحة.

وأما "آمين" فليست من الفاتحة، ولكنها تأمين على الدعاء، معناها: اللهم استجب؛ فالواجب تعليم الجاهل، لئلا يظن أنها من كلام الله؛ والله أعلم.

مسائل مستنبطة من سورة الفاتحة

الأولى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فيها التوحيد .

الثانية: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } فيها المتابعة .

الثالثة: أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب في الآية الأولى، والرجاء في الثانية، والخوف في الثالثة.

الرابعة: هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أي: استغراق الحمد واستغراق ربوبية العالمين .

الخامسة: أول المنعم عليهم، وأول المغضوب عليهم، والضالين .

السادسة: ظهور الكرم والحمد في ذكر المنعم عليهم .

السابعة: ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة: دعاء الفاتحة، مع قوله: لا يستجاب الدعاء من قلب غافل .

التاسعة: قوله { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } فيه حجة الإجماع .

العاشرة: ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه .

الحادية عشر: ما فيها من النص على التوكل.

الثانية عشر: ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك .

الثالثة عشر: التنبيه على بطلان البدع .

الرابعة عشر: آيات الفاتحة، كل آية منها لو يعلمها الإنسان صار فقيهاً، وكل آية أفرد معناها بالتصانيف، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وله أيضاً - رحمه الله تعالى- :

بسم الله الرحمن الرحيم {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} تضمنت ثلاث الآيات ثلاث مسائل :

الآيـة الأولى: فيها المحبة ؛ لأن الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه ؛ والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:

المحبة الأولى : محبة شركية، وهي محبة الذين قال الله فيهم { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة ١٦٥: ١٦٧] .

المحبة الثانية: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله ؛ وهذه صفة المنافقين.

والمحبة الثالثة: طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله، فهي مباحة.

والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان وأعظم مايعبد بها الإنسان ربه.

الآية الثانية : فيها الرجاء.

والآيـة الثالثـة : فيها الخوف؛ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } أي: أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث، بمحبتك ورجائك وخوفك ؛ هذه الثلاث أركان العبادة، وصرفها لغير الله شرك.

وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منها، كمن تعلق بالمحبة وحدها، أو تعلق بالرجاء وحده، أو تعلق بالخوف وحده، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك.

وفيها من الفوائد : الرد على ثلاث الطوائف التي كل طائفة تعلق بواحدة منها، كمن عبد الله بالمحبة وحدها، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج.

وأما {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ففيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فيها توحيد الألوهية، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فيها توحيد الربوبية، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فيها الرد على المبتدعين.

وأما الآيتان الأخيرتان، ففيها من الفوائد :

ذكر أحوال الناس، قسمهم الله ثلاثة أصناف: منعم عليه، ومغضوب عليه، وضال؛ فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معه عمل؛ والضالين: أهل عبادة ليس معها علم؛ وإن كان سبب النّزول في اليهود والنصارى، فهي لكل من اتصف بذلك؛ والنوع الثالث: من اتصف بالعلم والعمل، وهم المنعم عليهم.

وفيها من الفوائد :

التبرؤ من الحول والقوة لأنه منعم عليك؛ وكذلك فيها: معرفة الله على التمام ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى؛ وفيها: معرفة الإنسان نفسه، ومعرفة ربه، فإنه إذا كان رب فلا بد من مربوب، وإذا كان هنا عبد فلا بد من معبود .

وإذا كان هنا هاد فلا بد من مهدي؛ وإذا كان هنا منعم عليه فلا بد من منعم، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلا بد من غاضب؛ وإذا كان هنا ضال فلا بد من مضل؛ فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية ونفي النقائص عن الله؛ وتضمنت معرفة العبادة وأركانها، والله أعلم.

وله أيضاً، رحمه الله تعالى: الخوف منه، إذا عرفت أنه لا بد أن يدين الناس بأعمالهم خيرها وشرها {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة ٧-٨]، وأفادك أيضاً أعظم الفوائد وهي التوحيد، إذا عرفت أن ذلك اليوم {لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار ١٩] .

وأما الآية الرابعة: فأولها، وهو قوله:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ }: معاهدة منك لربك عز وجل أنك لا تشرك بعبادته أحدا، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا غيرهما، وآخرها وهو قوله:{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: سؤال منك لمولاك سبحانه أن يعينك على أمور دينك ودنياك، ولا يكلك إلى نفسك، ولا إلى أحد من خلقه، وإخبار منك أنك لا تستعين إلا به تبارك وتعالى.

وفي الآية الخامسة، والسادسة، والسابعة، وهي قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إلى آخرها، تسأله تعالى أن يهديك إلى طريق الجنة الذي لا اعوجاج فيه، الذي نصبه طريقاً إليها، لا طريق لها إلا هو، وهو التوحيد والبراءة من الشرك وتوابعه، وذلك مع أداء الفرائض وترك المحارم .

والسادسة وهي قوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} تبين أن الطريق الذي طلبت من مولاك أن يهديك إليه، هو طريق النبي ﷺ وأصحابه، الجامع لمعرفة الحق والعمل به.

ثم تبين ذلك وتوضح بالآية السابعة {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} فالمغضوب عليهم، الذين وهبهم الله الفهم فعرفوا الحق من الباطل، لكن لم يعملوا، والضالون هم الذين عملوا وطلبوا الطريق، لكن بجهل.

فإذا سلم العبد من آفة الجهل، وصار من أهل المعرفة ؛ ثم سلم من آفة الفسق وعمل بما أمره الله به، صار من الذين أنعم الله عليهم، من أهل الصراط المستقيم.

وهذا الدعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة ؛ أما جمعه لخير الآخرة فواضح .. وأما جمعه لخير الدنيا، فلأن الله تعالى يقول {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف ٩٦] والإيمان والتقوى هو الصراط المستقيم، فقد أخبر أن ذلك سبب لفتح بركات السماء والأرض، هذا في الرزق.

وأما في النصر، فقد قال تعالى { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } [المنافقون ٨]، فأخبر الله أن العزة تحصل بالإيمان وهو الصراط المستقيم، فإذا حصل العز والنصر، وحصل فتح بركات السماء والأرض، فهذا خير الدنيا، والله أعلم.

١٢- فوائد في سورة اقرأ والمدثر

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: هذه مسائل مستنبطة من سورة اقرأ :

١- الأمر بالقراءة .

٢- الجمع بين التوكل والسبب، خلافاً لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة .

٣- السر الذي في الإضافة، في قوله: باسم ربك، المقتضي للتوكل .

٤- وصفه سبحانه بالخلق، الذي هو أظهر آياته .

٥- ذكر خلقه الإنسان خاصة .

٦- كونه من علق .

٧- تكرير الأمر بالقراءة .

٨- الوصف بأنه الأكرم .

٩- ذكر التعليم بالقلم، الذي هو في المرتبة الرابعة .

١٠- تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم .

١١- أن الذكر بالقلب واللسان، أفضل من الذكر بالقلب وحده .

١٢- وصفه سبحانه بالخلق، الذي هو أظهر آياته .

١٣- فيه معنى: اعرف نفسك تعرف ربك .

١٤- معنى أن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة .

١٥- رجاء فضله لأجل ما تقدم من فضله .

١٦- لصفاته، لكونه الأكرم .

١٧- الجمع بين الخلق والتعليم .

١٨- الدلالة على التوحيد .

١٩- الدلالة على النبوة .

٢٠- الرد على الجهمية .

٢١- أن الاستحالة تطهر .

٢٢- الرد على القدرية.

٢٣- الرد على الجبرية .

٢٤- أن العبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية .

٢٥- ذكر شرف العلم .

وأما آخرها، ففيه مسائل :

١- أن الغنى من أسباب الطغيان .

٢- أنه ينشأ عن رؤية الغنى، لا عن الغنى .

٣- التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال .

٤- أن هذا وصف الإنسان، فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته .

٥- الإيمان باليوم الآخر .

٦- الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان .

٧- تسلية المطغى عليه بذلك.

٨- كونه إلى رب محمد، ففيه الجزاء على الأعمال .

٩- تقرير الشرع بالعقل، لقوله: { أَرَأَيْتَ }.

١٠- كون ذلك النهي عن إيثار الطغيان .

١١- تقرير ذلك بتصوير الحادثه، أنها نهي عبد صلى لربه .

١٢- التوقف عما لا يعلم، وإلا فلا يلوم إلا نفسه.

١٣- أن ذلك عام فيمن تنكر عليه فيما يفعله، وفيما يأمر به غيره.

١٤- الاستدلال على الناهي، واستجهاله بقولهتعالى { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى }.

١٥- الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية .

١٦- أن العلم بذلك ليس هو الإقرار .

١٧- أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم.

١٨- الدلالة على التوحيد .

١٩- الدلالة على النبوة .

٢٠- أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة .

٢١- كون العقوبة قد تعجل في الدنيا .

٢٢- ما يرجو المحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء.

٢٣- أن المال والقوة قد يكون سببا لشر الدنيا والآخرة .

٢٤- أن بعض أعداء الله قد يكشف له، فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن، كالسامري .

٢٥- الجمع بين قوله { كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ }، فوصفه بفساد القول والعمل .

٢٦- أنه لو دعا ناديه، أو دنا من النبي ﷺ لعوجل، ولكن دفع عنه ذلك، لكونه ترك بعض ما في نفسه .

٢٧- النهي عن طاعة مثل هذا .

٢٨- أنه ختمها بالسجود، الذي هو أشرف أفعال الصلاة؛ وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها.

٢٩- الأمر بالاقتراب من الله، ففيه معنى: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" .

٣٠- تسلية المحق إذا سلط عليه مثل هذا، وأمره بالصلاة .

وأما قوله: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } الآيات، ففيه مسائل :

١- الدعوة إلى إلله، لا يقتصر على نفسه .

٢- خطابه بالمدثر .

٣- أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

٤- تعظيم الله سبحانه علماً وعملاً.

٥- هجران الرجز.

٦- قوله تعالى { وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ }.

٧- قوله تعالى { وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }، فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم، فهو الصبر خالصاً؛ ففيها: آداب الداعي، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا، أو بعضها.

فمنها: الحرص على الدنيا، فنهى عنه بقوله: { وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ }.

ومنها: عدم الجد فنبه عليه، بقوله: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ }.

ومنها: رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين، كما هو الواقع.

ومنها: التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله.

ومنها: عدم الصبر على مشاق الدعوة.

ومنها: عدم الإخلاص.

ومنها: عدم هجران الرجز، والتقصير في ذلك، وهو من أضرها على الإنسان، وهو من تطهير الثياب، لكن أفرده بالذكر كنظائره .

المناسبة بين اقرأ والمدثر :

١- أول اقرأ فيه: الأمر بطلب العلم؛ وأول المدثر فيه: الأمر بالعمل به .

٢- أول اقرأ فيه: معرفة الله؛ وأول المدثر فيه: الأدب مع الله .

٣- أول اقرأ فيه: الصبر .

٤- أول اقرأ فيه: الإخلاص والاستعانة، وأول المدثر فيه: إخلاص الصبر .

٥- أول اقرأ فيه: الاستعانة؛ وأول المدثر فيه: العبادة .

٦- أول اقرأ فيه: فضله عليك؛ وأول المدثر فيه: حقه عليك .

٧- أول اقرأ فيه: أدب المتعلم؛ وأول المدثر فيه: أدب العالم.

٨- أول اقرأ فيه: معرفة الله ومعرفة النفس، وأول المدثر فيه: الأمر والنهي .

٩- أول اقرأ فيه: معرفتك بنفسك وبربك، وأول المدثر فيه: العمل المختص والمتعدي .

١٠- أول اقرأ فيه: أصل الأسماء والصفات؛ وهما العلم والقدرة، وأول المدثر فيه: أصل الأمر والنهي؛ وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك .

١١- في أول اقرأ ذكر القلم، الذي لا يستقيم العلم إلا به؛ وأول المدثر، فيه: ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به .

١٢- في أول اقرأ ذكر التوكل وأنه يفتح المغلق؛ وأول المدثر فيه: الصبر الذي يفتح.

١٣- في أول اقرأ: العمل المختص؛ وأول المدثر فيه: العمل المتعدي .

١٤- في اقرأ ست مسائل من الخبر؛ وأول المدثر ست مسائل من الإنشاء .

١٥- في أول اقرأ: ذكر بدء الخلق، وأول المدثر: ذكر الحكمة فيه .

١٦- في أول اقرأ: ذكر أصل الإنسان؛ وأول المدثر فيه: كماله .

١٧- في أول اقرأ: ذكر الربوبية العامة؛ وأول المدثر، الربوبية الخاصة .

١٨- في أول اقرأ شاهد لقوله: "اعقلها واتكل"، وفي أول المدثر: الصبر الذي هو من الإيمان بمنْزلة الرأس من الجسد .

١٩- في أول اقرأ: ابتداء النبوة؛ وأول المدثر: ابتداء الرسالة .

٢٠- في السورتين شاهد، لقوله: العلم قبل القول والعمل .

ومن اقرأ إلى آخره :

١- أن قريشاً صريح آل إبراهيم، وأيضاً ولاة البيت الحرام؛ وأيضاً خصوا بنعم منها: الرحلتان، ودفع الفيل، وأما أهل الكتاب: فأهل العلم وذرية الأنبياء؛ وجرى من الكل على رسالة الله ما جرى.

٢- أن هذا من الرئيسين: أبي لهب، وأبي جهل، ذكر عنهما ما ذكر .

٣- أن أهل الكتاب لم يتفرقوا، إلا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم.

٤- أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه، ولا يبغي به بدلاً لحسنه وسهولته.

٥- الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذاباً؛ وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته.

٦- أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته، أشربوه في قلوبهم، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا .

٧- توعد اللهُ الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة بالنار، وقدم أهل الكتاب في الذكر .

٨- أن العامة أشربوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً، وهذا من العجائب .

٩- التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب، بذكر الليلة التي أنزل فيها .

١٠- أن له سبحانه خصائص من الأزمنة، كما له من الأمكنة .

١١- أن الأعمال تتضاعف، وإن تساوت في الظاهر بما يجل عن الوصف.

١٢- عطف الروح على الملائكة.

١٣- أن خشية الله جامعة للدين كله .

١٤- النص على العبادة بالإخلاص .

١٥- ذكر الحنفاء .

١٦- عطف العبادتين على ذلك .

١٧- نصه أنه دين القيمة .

١٨- بيان أن من ساء عمله، شر من الجعلان ولو علم.

١٩- كون الضد خير البرية.

٢٠- الآية الجامعة الفاذة .

٢١- ذكر شيء من تفاصيل القيامة من شهادة الأرض وغير ذلك .

٢٢- معاملة الإنسان ربه، لقوله تعالى { لَكَنُودٌ }.

٢٣- كونه شاهداً لذلك .

٢٤- نعته بشدة حب المال .

٢٥- ما فيها من ذكر الحساب، والحوض، والميزان، ورؤية النار في الموقف .

٢٦- إخلاص الصلاة .

٢٧- إخلاص النحر .

٢٨- الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار .

٢٩- الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم .

٣٠- التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله .

٣١- التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم .

٣٢- التصريح لهم بالرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، ومحمد نبياً .

٣٣- بيان العقيدة السلفية .

٣٤- البراءة من عقيدة المتكلمين .

٣٥- الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق .

٣٦- الأمر بالاستعاذة من الشيطان .

٣٧- التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك، لكونه أفرد له سورة، وختم بها المصحف .

٣٩- النهي عن الهمز واللمز .

٤٠- النهي عن الاغترار بالمال .

٤١- النهي عن دع اليتيم .

٤٢- النهي عن عدم الحض على طعام المسكين .

٤٣- النهي عن السهو عن الصلاة .

٤٤- النهي عن الرياء .

٤٥- النهي عن البخل .

٤٦- النهي عن شنئه ﷺ .

٤٧- الاعتبار بأبي لهب، في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة، يعطاه مَنْ هو من أكفر الناس .

٤٨- النهي عن حمل الحطب .

٤٩- النهي عن النميمة .

٥٠- النهي عن الحسد .

٥١- النهي عن النفث في العقد.

٥٢- النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

٥٣- الإخبار برؤية الجحيم، ثم رؤيتها.

٥٤- السؤال عن النعيم .

٥٥- خسران الإنسان إلا المستثنى، وفيها ذكر النار ذات اللهب وصليها وإطلاعها على الأفئدة وكونها مؤصدة.

وفيها من الأعمال الممدوحة: الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والحث على الشكر بذكر الرحلتين .

وفيها: أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل.

وفيها من القصص: قصة الفيل والرحلتين، وقصة أبي لهب، وقصة سحر اليهود.

وفيها من الوعظ العجب العجاب؛ وأما أدلة التوحيد ففي مواضع، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

١٣- ذكر المسائل المستنبطة

من قوله تعالى { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ }

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : قوله تعالى { وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } (البقرة ١٠٢)، فيه مسائل :

١- كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة وأرادوا إقامة الدليل عليها، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجوا بما في الكتب الباطلة .

٢- أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل .

٣- أن الكلام يدل على أنهم يعلمون، لقوله { كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ } (البقرة ١٠١).

٤- أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذباً عليهم .

٥- أن الكتب الباطلة قد تضاف إلى بعض الصديقين .

٦- أن ذلك مما تتلو الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقع أشياء في زمن النبي ﷺ.

٧- أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان .

٨- بيان ضلال من ضل ممن يدعي العلم في شأن سليمان، ممن نسب ذلك إليه واستحسنه؛ أو قدح في سليمان، كما ضل أناس كثير في عليّ لما قتل عثمان .

٩- أن من فعل السحر كفر، ولو عرف أنه باطل .

١٠- أن الشياطين يعلمونه الناس .

١١- أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل، فلا يأمن مكر الله .

١٢- لا ينبغي له التعرض للفتن وثوقاً بنفسه؛ بل يسأل الله العافية .

١٣- سعة علم الله ومغفرته ورحمته .

١٤- يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر .

١٥- أن النساء من أكبر الفتن .

١٦- أن طاعة الهوى جماع الشر، كما أن مخالفته جماع الخير .

١٧- أن الشرك أكبر مما يخطر بالبال .

١٨- أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة، لا يشترط في كفر من تكلم بها عقيدة القلب، ولا عدم الكراهة للشرك .

١٩- أن المتكلم لا يعذر، ولو أراد أن يقضي به غرضاً مهماً .

٢٠- أن قتل النفس أعظم من الزنا .

٢١- أن المعاصي بريد الكفر .

٢٢- أن بعضها يجر إلى بعض .

٢٣- أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم .

٢٤- أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد، بل هو فضل من الله .

٢٥- أن من النعم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا .

٢٦- حسن الظن بالله .

٢٧- القاعدة التي هي خاصية العقل، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما .

٢٨- أن السحر نوعان .

٢٩- أن له تأثيراً، لقوله تعالى { مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ }(البقرة ١٠٢).

٣٠- الإرشاد إلى التوكل، بكونه لا يضر أحداً إلا بإذن الله .

٣١- أن في مَنْ يدعي العلم، مَنْ اختار كتب السحر على كتاب الله .

٣٢- أنهم يعارضون به كتاب الله .

٣٣- أن اتباع كتاب غير كتاب الله ضلال .

٣٤- لا تأمن الكتب، ولا ممن ينتسب إلى العلم على دينك .

٣٥- أن فساد العلماء يفسد الرعية .

٣٦- أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة، حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه، كما استتاب المرتد .

٣٧- أن الحسد سبب لرد كتاب الله .

٣٨- أن الحاسد قد يبغض الناصح، ويسعى في قتله .

٣٩- أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة .

٤٠- أنه من أخلاق اليهود .

٤١- أن المحسود يرفعه الله على الحاسد .

٤٢- أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة، وبالمعصية العكس .

٤٣- أن في من ينتسب إلى العلم من يختار الكفر على الإيمان، مع علمه أن من اختاره لا حظ له في الآخرة .

٤٤- أن الإنسان يجتمع فيه الضدان، يعلم ولا يعمل .

٤٥- بيان غبنهم، والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط .

٤٦- أن السبب في هذا الشرك، اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا .

٤٧- أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم به، نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم، كأنهم لا يعرفونه .

٤٨- أن الذي حملهم على هذه العظائم، أنه أتاهم أمر من الله موافق لدينهم، لكن مخالف لعادتهم الجاهلية .

٤٩- الفرق بين المعجزات والكرامات؛ وبين ما يفعله الشياطين تشبها بذلك وتشبيها .

٥٠- التنبيه على قول الصحابي: " أو يأتي الخير بالشر؟؟ " وجوابه ﷺ .

٥١- أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علمه، فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس، لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق ؛ وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود عليه السلام.

تمت ولله الحمد والمنة

الفهرس

م	الرسالة	ص
١	معنى لا إله إلا الله	٣
٢	الكفر بالطاغوت	٦
٣	نواقض الاسلام	٨
٤	الأصول الستة	٩
٥	القواعد الأربع	١١
٦	عشر درجات تتعلق ببطلان الشرك ومعاملة أهله	١٣
٧	ثمان حالات لإقامة دين الحنيفية	١٤
٨	مسائل الجاهلية	١٥
٩	كشف الشبهات	٢٤
١٠	ستة مواضع من السيرة	٤٠
١١	تفسير سورة الفاتحة	٤٥
١٢	فوائد في سورة اقرأ والمدثر	٥٦
١٣	ذكر المسائل المستنبطة من قوله تعالى { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}	٦٣

مع تحيات إخوانكم فى موقع

طريق التوحيد والسنة

www.tawhedway.com